# المقاصد القرآنية في قصة أصحاب الجنة
# في سورة القلم
# "دراسة موضوعية"


إعداد

**د/ أحمد عبد الحميد محمد أحمد**

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنين قنا

# المقاصد القرآنية في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم "دراسة موضوعية"

أحمد عبد الحميد محمد أحمد
قسم التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين قنا – جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ahmedabelhamed.4119@azhar.edu.eg

**الملخص:**

جاء القصص القرآني على خلاف ما تعوَّده العرب في ذكر قصص وأخبار الأمم الماضية والتي كانوا يهتمون فيها بمعرفة الأحداث والأشخاص أكثر من أي شيء آخر، وكان الغرض منها في غالبه مجرد المعرفة للمعرفة لا للاستفادة والاعتبار، وهي مع ذلك لا تخلو من مبالغات ربما تصل في بعض الأحيان إلى حد الخرافة. فجاء القرآن بقصصه المبني على أخذ العبرة والعظة مع اتصافه بالصدق والإنصاف حتى في حكايته لأقوال خصومه عنه. وفي هذا السياق جاءت هذه قصة أصحاب الجنة في سورة القلم عبرةً وموعظة وتخويفاً لأهل مكة الذين طعنوا في رسول الله – ﷺ – ورموه بالجنون، وقد رَبطت هذه القصةُ بأسلوبٍ بديعٍ بين حال أهل مكة الذين لم يقدِّروا نعمة الله –ﷻ – عليهم وبين أصحاب الجنة المذكورين في هذه السورة الكريمة.

والتزاماً بالتوجيه القرآني الكريم الآمر بالاعتبار من أخبار السابقين وقصصهم جاء هذا البحث بعنوان:

**(المقاصد القرآنية في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم**
**دراسة موضوعية)**

وقد حاولت – قدر استطاعتي – في هذا البحث أن أستخرج من هذه القصة بعض العِبَر والعظات في ضوء المقاصد الخاصة بهذه القصة القرآنية.

**الكلمات المفتاحية:** المقصد، أصحاب الجنة، أنواع التفسير، موقع التفسير الموضوعي، ألوان التفسير الموضوعي.

# Quranic Purposes in the Story of the Companions of Paradise in the Holy Quran "An Objective Study"

**Ahmed Abdel Hamid Mohamed Ahmed**
**Department of Interpretation and Quranic Sciences - Al-Azhar University - Faculty of Islamic and Arab Studies for males in Qena - Arab Republic of Egypt.**
**Email: ahmedabelhamed.4119@azhar.edu.eg**

**Abstract:**
The Quranic stories are contrary to what Arabs used to mention the stories and news of past nations, in which they are more interested in knowing events and people than anything else, and are often intended simply to know knowledge rather than to benefit and consider, yet they are not without exaggerations that sometimes amount to myth. The Qur'an came up with his stories based on taking the lesson and preaching while being honest and fair even in his tale of his opponents' statements about him. In this context, the story of the companions of paradise in the Holy Qur'an came as a lesson and as a scare for the people of Mecca who challenged the Messenger of Allah - peace and prayers be upon him- and derived it into insanity. This story is linked in an exquisite manner between the people of Mecca who does not appreciate the grace of Allah them and the companions of paradise mentioned in this grace. In order to comply with the Holy Quranic Directive and to consider the news and stories of the former, this research has been entitled: "Quranic Purposes in the Story of the Companions of Paradise in the Holy Quran - An Objective Study."
As far as I can, I have tried to extract from this story some lessons and sermons in the light of the general Quranic purposes of Quranic stories and the purposes of this Quranic story.

**Keywords:** Purposes, Companions Of The Paradise, Types Of Interpretation, Position Of Objective Interpretation, Types Of Objective Interpretation.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المقدمة**

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله – تعالى – من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يَهْدِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه

**أمَّا بعدُ**

فقد أنزل الله – ﷻ – القرآن الكريم كي يكون كتاب هداية للناس أجمعين إلى الإيمان بالله –ﷻ – وعبادته وحده لا شريك له، وأمر عباده المؤمنين بتدبُّر القرآن واستنباط عِبَره وعظاته ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١)

ومن جملة هدايات القرآن العظيم قَصَصُه الذي جاء برهاناً على صدق النبي – ﷺ – ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (٢)

وقد ذكر الله –ﷻ – أنه يقصُّ على نبيِّنا محمدٍ – ﷺ – من قصص الأنبياء السابقين كي يكون له هذا القصص عبرةً وتثبيتاً لقلبه ولقلوب المؤمنين فقال ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وكما ذكر في نهاية قصة يوسف –عليه السلام– أنه قصَّ هذه القصة الكريمة كي تكون هداية ورحمة للمؤمنين فقال ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا

١ – ص ٢٩

٢ – يوسف ٣

٣ – هود ١٢٠

يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

فالحكمة الكريمة من ذكر القصص القرآني هي استخلاص العبرة من أحوال السابقين، وتخويف المعاصرين المعاندين بما جاء في قَصَص الأمم المكذبة، لذا نجد القصة القرآنية تذكر ما فيه العبرة والعظة دون الدخول في تفاصيلَ لا علاقة لها بالمغزى الأهم من قصص القرآن وهو الاعتبار والاتعاظ ، هذا بجانب صدق القرآن في قصصه وأخباره مما يجعل هذا القصص دليلاً على صدق النبي – ﷺ – وتحديه للمخالفين بهذا القصص المنزه عن الكذب ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢)

وقياماً بحق القرآن الكريم علينا من وجوب تدبُّره والتفكر فيه وبعد أن استخرتُ الله العظيم هداني المولي – ﷻ– لاختيار هذا الموضوع، والذي جاء تحت عنوان:

**المقاصد القرآنية في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم**

**"دراسة موضوعية"**

**أسباب اختيار موضوع البحث:**

والذي دفعني لاختيار هذا البحث:

١. خدمة كتاب الله –ﷻ – بإظهار وجهٍ من أوجه هدايات القرآن الكريم.
٢. إظهار حيوية القرآن الكريم ومناسبته لكل زمان ومكان بما فيه من دروس إيمانية نستخلصها من القصص القرآني.

١ – يوسف ١١١

٢ – آل عمران ٦٢

**مشكلات البحث:**

يثير البحثُ التساؤلات التالية:

١- هل القصص القرآني مرتبطٌ بحال المعاصرين لنزوله أم لا؟

٢- هل هناك دروس مستفادة من قصة أصحاب الجنة يمكن تنزيلها على الكافرين المعاصرين للنبي ﷺ ؟

**أهداف البحث:**

١- إظهار الحكمة من القصص القرآني الذي يهدف لإبراز جوانب العبرة والعظة فيها.

٢- استخراج الحِكَم القرآنية من القصص القرآني بما يُظهر حيوية القرآن وعلاجه لقضايا العصر.

**منهج البحث:**

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي التحليلي، وذلك باستنباط وتحليل جزئيات القصة المذكورة في هذه السورة الكريمة لاستخراج ما فيها من عِبَرٍ وعظاتٍ.

وفي ضوء هذا المنهج كانت أهم خطوات البحث التي سرتُ فيها عليها كما يلي:

١. تقسيم القصة إلى أجزاء، كل جزء منها جاء تحت عنوان " المقصد القرآني" وأذكر فيه ما اشتملت عليه الآية أو الآيات الكريمة من عبرٍ وعظاتٍ.

٢. عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى موضعها من السورة.

٣. تخريج الأحاديث والآثار من مظانها الأصلية.

٤. توثيق النقول بنسبتها إلى مصادرها في الحاشية، مع ذكر بيانات المرجع عند ذكره للمرة الأولى فقط.

**أقسام البحث:**

قسمتُ هذا البحث إلى:

**مقدمة:** ذكرتُ فيها أسباب اختياري لموضوع البحث ومنهجي فيه، وأقسام البحث.

**تمهيد:** ذكرت فيه:

- أنواع التفسير، وموقع التفسير الموضوعي منها.
- ألوان التفسير الموضوعي.
- تعريف المقاصد القرآنية.
- تحت عنوان " بين يدي السورة " ذكرتُ اسم السورة الكريمة ومقاصدها العامة ومناسبتها لما سبقها وما تلاها من سورتي الملك والحاقة.
- مناسبة قصة أصحاب الجنة لمقاصد سورة القلم.

**خمسة مطالب: جاءت كالتالي:**

١. **المطلب الأول:** المقصد الأول: تحذير أهل مكة من أن يلحقهم مثل ما لحق السابقين ممن قابل نعمة الله -ﷻ- بالجحود والنكران.
٢. **المطلب الثاني:** المقصد القرآني الثاني: وجوب التأدب مع الله -ﷻ- بتعليق العمل على مشيئة الله قبل الشروع فيه.
٣. **المطلب الثالث:** المقصد القرآني الثالث: الترهيب من عقاب الله -ﷻ- لمن تجرأ على معصيته.
٤. **المطلب الرابع:** المقصد الرابع: هل تكون العقوبة على الذنب بمجرد الهمَّ به أم بارتكابه؟
٥. **المطلب الخامس:** المقصد الخامس: ما يكون من الندم بعد العقوبة، والترغيب في التوبة.

**خاتمة:** ذكرتُ فيها أهم نتائج هذا البحث، وتوصيات البحث.

## التمهيد

سوف أذكر في هذا التمهيد الموجز – إن شاء الله تعالى – بعض الأمور المتعلقة بالتفسير الموضوعي من حيث تعريف كلمة التفسيرلغة واصطلاحاً ، وأنواع تفسير القرآن الكريم، وموقع التفسير الموضوعي من هذه الأنواع، وألوان التفسير الموضوعي ومنهج كل نوعٍ منها، ثم تعريف المقاصد القرآنية، فأقول وبالله التوفيق:

**تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:**

**التفسير لغة:** تدور كلمة التفسير في اللغة حول معاني الكشف والإبانة.

جاء في بيانها أنها: أن (فَسِرَ) الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ، مِنْ ذَلِكَ الْفَسْرُ، يُقَالُ: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ، وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ، والفَسْرُ: الْبَيَانُ، فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر، ويفْسُرُه بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ [1]

**التفسير اصطلاحاً:**

عرَّفه الإمام الزركشي – رحمه الله – بأنه " عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّـهِ الْمُنَـزَّلِ عَلَـى نَبِيِّـهِ مُحَمَّـدٍ – ﷺ – وَبَيَـانُ مَعَانِيـهِ وَاسْـتِخْرَاجُ أَحْكَامِـهِ وَحِكَمِهِ "[2]

١ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس باب: الفاء والسين وما يثلثهما جـ ٣ س ٥٠٤ ط دار الفكر، لسان العرب لابن منظور مادة " فسر" جـ ٥ ص ٥٥ ط دار الفكر

٢ – البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي جـ ١ ص ١٣ ط مكتبة دار التراث

## أنواع التفسير وموقع التفسير الموضوعي منها

للتفسير أنواعٌ أربعة:

١. **التفسير الإجمالي:** وهو تفسير يقوم على تفسير القرآن الكريم كاملاً بطريقة تقوم على الإيجاز والإجمال دون توسع أو تفصيل، بل يقدم المعنى الإجمالي للآيات.

٢. **التفسير التحليلي:** وهو تفسير يقوم على تفسير القرآن آيةً آيةً، ويقوم المفسر فيها بتحليل كل آية تحليلاً موسعاً مفصلاً مع الحديث عن مختلف الموضوعات والمسائل في العقيدة واللغة، والروايات والقراءات والأحكام.

٣. **التفسير المقارن:** حيث يقوم المفسر بعقد مقارنات بين عدَّة مفسرين في تفسيرهم لسورة أو مجموعة آيات ليتعرف على منهج كل مفسر منهم، وطريقة تناوله للموضوع ومدى التزامه بمنهجه، ثم يعرض عمل هؤلاء المفسرين على الميزان الصحيح في تحديد أحسن طرق التفسير، ثم يسجل النتيجة التي خرج بها فيحكم لهذا المفسر أو عليه.

٤. **التفسير الموضوعي:** عُرِّف التفسير الموضوعي بأنه " علمٌ يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر" [١]

---

١ – يُنظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق بتصرف للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٢٩ وما بعدها، ط دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن، مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ص ١٣ ط مطبعة المعارف

## ألوان التفسير الموضوعي

للتفسير الموضوعي ألوان هي:

١- **التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:** وفي هذا اللون يتتبع الباحثُ لفظةً من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

٢- **الموضوع القرآني:** حيث يقوم الباحث بتحديد موضوع ما، يلحظ الباحث تعرُّض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق، فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة.

٣- **التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:** وهذا اللون شبيه باللون الثاني إلا أن دائرة هذا اللون أضيق من دائرة سابقه، حيث يُبحثُ في هذا اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هنا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة. [١]

١ – مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ص ٢٥ وما بعدها.

## تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

**المَقاصِد لغةً:**

تدور كلمة القصد في اللغة حول معنى التوجه نحو الشيء وإرادته.

جاء في بيانه: أن مادة (قَصَدَ) تدل عَلَى إِتْيَانِ شَيْءٍ، قصدتُ الشيءَ قَصَدْتُهُ قَصْدًا وَمَقْصَدًا، وَمِنَ الْبَابِ: أَقْصَدَهُ السَّهْمُ، إِذَا أَصَابَهُ فَقُتِلَ مَكَانَهُ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَحِدْ عَنْهُ، والقَصْدُ: الاعتمادُ والأَمُّ، قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْداً وقَصَدَ لَهُ وأَقْصَدَني إِليه الأَمرُ، وَهُوَ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك، والقَصْدُ: إِتيان الشَّيْءِ. تَقُولُ: قصَدْتُه وقصدْتُ لَهُ وقصدْتُ إِليه بِمَعْنًى، يقال: هُوَ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك.[١]

**المقاصد اصطلاحاً:**

**مقصد الكلام:** هو أن يتوجَّه الكلام واللفظ إلى معنًى معين أو غاية يريدها المتكلم. [٢]

وقد عرَّف الإمام الشاطبي – رحمه الله – المقاصد الشرعية بأنها " الْمَقْصُودَ الشَّرْعِيَّ مِنَ الْخِطَابِ الْوَارِدِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ تَفْهِيمُ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ، مِمَّا هُوَ مَصْلَحَةٌ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ"[٣]

**والمَقاصِد القُرآنيَّة:** هي الغايات التي أرادها الله – ﷻ– في كتابه" وعُرِّفت أيضاً بأنها: الغايات التي أُنزل القرآن لأجلها، تحقيقاً لمصالح العباد. [٤]

---

١ – يُنظر: مادة "قصد" في معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ ٥ ص ٩٥ ط دار الفكر، لسان العرب جـ ٣ ص ٣٥٣ ط دار الفكر.

٢ – المقاصد القرآنية – دراسة منهجية للدكتور محمد عبد الله الربيعة ص ٢١٢

٣ – يُنظر: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، كتاب الأدلة الشرعية – الفصل الخامس: في البيان والإجمال ص ٦٧٤ ط دار الكتب العلمية ٠– بيروت.

٤ – مقاصد القرآن من تشريع الأحكام للدكتور عبد الكريم حامدي ص ٢٩ ط دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م

فالمقاصد القرآنية هي الأهداف الرئيسية التي تحدثت عنها كل سورة من سور القرآن الكريم كإرشاد الخلق إلى معرفة الله -ﷻ- ووجوب إقامة شرعه، إلى كل الأهداف التي قُصِدَ طلب تحقيقها من العباد تحقيقاً لمصالحهم الدنيوية والأخروية.

**أهمية إظهار المقاصد القرآنية:**

إن أهمية معرفة المقاصد القرآنية تتجلى في الحكمة التي من أجلها أنزل الله -ﷻ- هذا القرآن الكريم، وهي التدبر فيه وحُسن فهمه حتى نعمل بما فيه على بيِّنة وهدى، فمن لم يتدبر الغاية من الكلام والمقصد منه لن يهتدي إلى العمل بما فيه حق العمل، فقال الله -ﷻ- ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١)

لذا نجد القرآن الكريم يذمُّ المشركين أشدَّ الذم لأنهم لم يتدبروا القرآن ولم يفقهوا مقاصدَه التي من أجلها نزل، فقال الله - ﷻ - ذمَّاً لهم وتسفيهاً لعقولهم ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٢) وعاب عليهم عدم فهمهم لبيان القرآن فقال ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٣)

لكن وصفهم بعدم الفهم لم يكن لعدم فهمهم لألفاظ القرآن لأن ذلك على خلاف حالهم، فالعرب كما ذكر الشاطبي -رحمه الله- يستحيل في حقهم الجهل بمعاني القرآن الظاهرة، لكن الله -ﷻ- ذمَّهم أشد الذم لأنهم لم يفقهوا مراد الله - ﷻ- من كلامه ولم يتدبروه حق التدبر، فالتدبُّر إنما يكون

١ - ص ٢٩

٢ - محمد ٢٤

٣ - النساء ٧٨

لمن التفت إلى المَقاصِد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مَقاصِد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر"[١]

## بين يدي السورة الكريمة

**اسم السورة:** القلم.[٢]

وتسمى أيضاً " ن"[٣]

وتسمى أيضاً " ن والقلم" حيث ذكر السيوطي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – تسميتها بذلك فقال: نزلت سُورَة "ن والقلم" بِمَكَّة [٤] وبذلك عَنْون لها البخاري – رحمه الله – في صحيحه.[٥]

وذكر بعض العلماء التسوية بين تسميتها بسورة " ن" وسورة " القلم" كالإمام البقاعي رحمه الله [٦]

عدد آياتها ووقت نزولها: هي سورة مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ [٧]

---

١ – يُنظر: الموافقات للشاطبي، كتاب الأدلة الشرعية – الدليل الأول: القرآن – الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ: مِنَ النَّاسِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ص ٦٩٨

٢ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري جـ ١٤ ص ١٨ط دار الفكر، معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج جـ ٥ ص ٢٠٣ ط عالم الكتب – بيروت، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٨ ص٢١٤ ط دار الحديث.

٣ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٨ ص ١١٨ ط مكتبة الصفا

٤ – الدر المنثور لجلال الدين السيوطي جـ ٨ ص ٢٤٠ ط دار الفكر – بيروت

٥ – يُنظر: الجامع المسند الصحيح من حديث رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري كتاب التفسير جـ ٣ ص ٣١٤ ط المكتبة السلفية.

٦ – يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ٢٠ ص٢٧٣ ط دار الكتاب الإسلامي–القاهرة.

٧ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري جـ ١٤ ص ١٨ ط دار الفكر – بيروت، تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٨ ص ١١٨

**المقاصد العامة للسورة الكريمة:**

اشتملت هذه السورة الكريمة على كثير من المقاصد القرآنية التي تميَّزت بها السور المكيَّة والتي ترتكز في غالبها على جانب توجيه الخطاب القرآني لمشركي مكة رداً على كفرهم وإساءتهم للنبي ﷺ، ومن هذه المقاصد التي اهتمت بها سورة القلم:

١. تحدي المشركين: وذلك بابتداء السورة الكريمة بالأحرف المقطعة الدآلة على إعجاز القرآن الكريم وأنه مؤلف من نفس الحروف التي ينطقون بها ويتفاخرون بها في شعرهم ونثرهم، ومع ذلك ثبت عجزهم عن الإتيان بشيء من مثله.

٢. تبرئة النبي – ﷺ – مما اتهمه به المشركون من الجنون، لذا بدأها اللهُ –ﷻ – بالقَسَم بالقلم الذي هو قرينُ العلم، والعلمُ ينافي الجنون.

٣. تخويف المشركين من أن يلحقهم ما لحق بالأمم الماضية التي جحدت نِعَم الله –ﷻ – عليها.

٤. نفي التسوية بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة، والتي كان المشركون يُمَنُّون أنفسهم بها.

٥. تخويفهم مما سيلحقهم يوم القيامة جزاءً لهم على تكبرهم على الإيمان بالله –ﷻ – وبرسوله ﷺ .

**مناسبة السورة لما سبقها:**

**سُبقت سورة القلم بسورة المُلك:**

وقد ذكرت سورة الملك أدلةَ قدرة الله –ﷻ – على الخلق والإيجاد، ومن مقتضيات المِلكية والقدرة أنه يصطفي من خلقه رسلاً لخلقه، ولا حق لأحدٍ أن يعترض عليه في اصطفائه لهم، ثم حذرت الكافرين من سوء عاقبتهم إن استمروا على كفرهم بالله – ﷻ– ثم جاء في نهايتها قول الله – ﷻ – ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [١] وفي هذا تصريح بأفضلية المؤمن المنقاد لله -ﷻ- وأنه لا تسوية بينه وبين ذلك الكافر الذي يمشي على غير هدىً، ثم بدأت سورة القلم ببيان أفضلية النبي - ﷺ - وأنه بريء مما اتهمه به المشركون من الجنون ووصف الله - ﷻ - له بأنه على خلقٍ عظيم يستحيل أن يجتمع معه وصفه بالجنون، لأنه هو الذي اختاره واصطفاه، فكيف لهم أن يصفوه بعد ذلك بالجنون!

**مناسبة السورة لتاليتها سورة الحاقة:**

جاء في سورة القلم بعض مشاهد يوم القيامة المتعلقة بعذاب الكافرين وسوء مصيرهم، كما جاء في نهايتها نهي الله -ﷻ- لنبيه - ﷺ - عن العجلة على مشركي مكة كما فعل يونس - عليه السلام- مع قومه، وأمْر الله - ﷻ - له بالصبر على أذاهم، ولما كان المشركون يشككون دوماً في الحياة بعد الموت ووقوع القيامة وما توعدهم الله به فيها، جاءت سورة الحاقة بافتتاحها بالحديث عن يوم القيامة ووصفه بالحق الذي لا شك فيه وذِكر عاقبة الكافرين بالرسل من الأمم الماضية فقال الله -ﷻ- ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [٢]

**مناسبة قصة أصحاب الجنة لمقاصد سورة القلم:**

جاءت قصة أصحاب الجنة متماشية مع المقاصد العامة لسورة القلم فقد جاء في بدء السورة الكريمة نفي ما افتراه الكافرون من التعدي على مقام النبي - ﷺ - بما وصفوه به من الجنون فقال الله- ﷻ - ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [٣] ثم ذكر القرآنُ ما حباه اللهُ - ﷻ - به من أخلاقٍ ووعْدِه له بالأجر العظيم، ثم جاءت هذه القصة

١ - سورة الملك ٢٢

٢ - سورة الحاقة ١ - ٢ - ٣ - ٤

٣ - القلم ١ - ٢

عبرةً وعظة وتخويفاً لأهل مكة أن يقعوا فيما وقع فيه أصحابُ تلك الجنة من نكران النعمة التي أنعم الله – ﷻ– بها عليهم وتخويفهم من أن يحيق بهم ما حاق بهؤلاء المذكورين في هذه القصة.

ووجه الشبه بين حال أهل مكة وأصحاب الجنة المذكورين في هذه السورة الكريمة أن الله – ﷻ– قد أنعم على أصحاب الجنة بهذه الحديقة المثمرة لكنهم قابلوا نعمة الله –ﷻ – بالنكران والجحود فبخلوا ببعض ثمارها على الفقراء والمساكين فحرمهم الله –ﷻ – منها جزاء لهم على ما نووه.

وكذلك أهل مكة، أنعم الله – ﷻ – عليهم بنعمة النبي – ﷺ – الذي أرسله الله – ﷻ– منهم، وبدلاً من أن يقابلوا هذه النعمة بالقبول والشكر همُّوا بقتله أو إخراجه أو حبسه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [1] فاستحقوا أن يحرمهم الله – ﷻ – من هذه النعمة بأن يهاجر النبي – ﷺ – من مكة للمدينة فيسبقهم إلى إحسان قبوله غيرُهم.

وأستعين الله – ﷻ – في ذِكر ما منَّ به عليَّ في استخلاص بعض العِبَر والمقاصد القرآنية في هذه القصة فأقول وبالله التوفيق:

١ – الأنفال ٣٠

## المطلب الأول:

## المقصد الأول: تحذير أهل مكة من أن يلحقهم مثل ما لحق السابقين ممن قابل نعمة الله -ﷻ- بالجحود والنكران.

قال الله -ﷻ- في بداية هذه القصة ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾(١)

بدأت الآيات الكريمة في هذه القصة بأسلوب غاية في الترهيب والتخويف بقول الله -ﷻ- " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ " فالبدء بضمير العظمة فيه من الترهيب والتخويف ما فيه، كما أن إسناد الابتلاء لله -ﷻ- من أعظم التخويف لمن ابتلاهم.

والضمير في " بَلَوْنَاهُمْ " يعود على أهل مكة الذين كفروا برسول الله ﷺ.

يقول الإمام النسفي – رحمه الله – (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) امتحنَّا أهلَ مكةَ بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي – ﷺ – حيث قال: اللهمَّ اشدد وطأتك على مُضَر، واجعلها سنين كسني يوسف. (٢)

ومما جاء في بيان ما لحق أهلَّ مكة من قحطٍ وجوعٍ ما رواه الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه – بسنده – عن عبد الله(٣) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي – ﷺ – دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهدٌ حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله –

١ – القلم ١٧

٢ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي جـ ٣ ص ٥٢١ ط دار الكلم الطيب – بيروت

٣ – هو عبد الله بن مسعود كما ذكر ابن حجر رحمه الله. فتح الباري جـ ٨ ص ٤٣٤

تعالى–﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (١)

قال: فأُتِيَ رسولُ الله – ﷺ – فقيل: يا رسول الله استسق الله لمُضَر فإنها قد هلكت؟

قال: لمضر؟ إنك لجريء فاستسقى فسقوا فنزلت "إِنَّكُمْ عَائِدُونَ" (٢) فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله – ﷻ – ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (٣) قال: يعني يوم بدر) (٤)

والمعنى: بلونا أهل مكة بالقحط والجوع، كَما بَلَوْنا أصحاب هذا البستان الذي قيل إنه كان دون صنعاء بفرسخين، وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصِّرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وألقته الريح، أو بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعله أبونا ضاق علينا الأمرُ، فحلفوا لَيَصْرِمُنَّها وقت الصباح خفية عن المساكين.

وقد اختلفت الأقوال في أصحاب هذه الجنة مَن هم، فقيل: كانوا من ثقيف، وقيل: كانوا من بني إسرائيل، وقيل غير ذلك، ومجمل ما قيل في قصتهم أن أباهم كان رجلاً صالحاً يعطي الفقراء من ثمار هذه الجنة وقت حصادها، فلما مات بخلوا وعزموا على منع ما كان يعطيه أبوهم للفقراء فأحرق الله–ﷻ– بستانهم(٥)

---

١ – سورة الدخان آية ١٠،١١

٢ – سورة الدخان آية ١٥

٣ – سورة الدخان آية ١٦

٤ – رواه البخاري في كتاب: التفسير، باب ( يَغشَى ٱلنَّاسَ هُـذَا عَـذَابٌ أَلِـيم ) جـ٣ ص ٢٨٩ حديث رقم ٤٨٢١ ط المطبعة السلفية – القاهرة.

٥ – جامع البيان للطبري جـ ١٤ ص ٣٦ ط دار الفكر – بيروت، أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي جـ ٥ ص ٢٣٤ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، مفاتيح الغيب للرازي جـ ١٥ ص ٦٦٠ ط دار الغد العربي.

والذي يخصنا من القصة موطن العبرة والعظة بغض النظر عن مكان هذه الجنة وأصحابها، وهذا كما قدمنا من خصائص القصص القرآني الحكيم.

قوله ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: مثل ما بلونا[١]

والابتلاء قد يكون بالخير وقد يكون بالشر، كما قال- تعالى- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٢] وقوله ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣] والمراد بالابتلاء هنا: الابتلاء بالشر بعد جحودهم لنعمة الخير.

وفي الآية إشارة إلى عدم تحملهم للابتلاء بالخير الذي أنعم الله – ﷻ – به عليهم، فبطروا وطغوا فاستحقوا الابتلاء بالشر عقوبةً لهم.

﴿إِذْ أَقْسَمُواْ﴾ حلفوا ألا يعطوا المساكين منها شيئاً

﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي ليقطعن ثمرها.

فالصَّرْمُ: القَطْعُ البائنُ، صَرَمَه يَصْرِمُه صَرْماً وصُرْماً فانْصَرَم، وَقَدْ قَالُوا صَرَمَ الحبلُ نَفْسُه، وصَرَمَه صَرْماً: قَطَعَ كَلَامَهُ، وَقَدْ صَرَمَ العِذْقَ عَنِ النَّخْلَةِ.[٤]

﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: داخلين في الصباح، وهذا يكون قبل انتشار الفقراء، حال من فاعل "لَيَصْرِمُنَّهَا"[٥]

وقد ذُكِر أنه كان من عادة أبيهم أن يخبر المساكين والفقراء بموعد حصاده حتى يجتمعوا ويأخذوا نصيبهم.

---

١ – يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي مجلد ١٦ جـ ٢٩ ص ٥٠ ط دار الفكر– بيروت

٢ – الأنبياء ٣٥

٣ – الأعراف ١٦٨

٤ – يُنظر: لسان العرب مادة "صرم" جـ ١٢ ص ٣٣٤ ط دار الفكر – بيروت.

٥ – الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي جـ ١٥ ص ٤٠ ط دار الرشيد – دمشق

**المطلب الثاني:**

**المقصد القرآني الثاني: وجوب التأدب مع الله -ﷻ- بتعليق العمل على مشيئة الله قبل الشروع فيه.**

جاء في هذه القصة توجيه رباني كريم في معرض ذمٍّ أصحاب هذه الجنة في قول الله - ﷻ - ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [1] أي لا يقولون إن شاء الله.

وقد أمر الله -ﷻ- عباده المؤمنين بألا ينسوا التأدب مع الله - ﷻ - بأن ينووا فعلاً ولا يقولون "إن شاء الله"، ذلك أن الواجب على المؤمن ألا ينسى أن كل أمر بإرادة الله -ﷻ- فلا يقطع الإنسان بفعله لشيء دون أن يقرنه بذكر مشيئة الله ﷻ.

فمعنى ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي لا يقولون إن شاء الله، وتسميته استثناءً وإن كان شرطاً لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك "لأخرجنَّ إن شاء الله" و "لا أخرج إلا أن يشاء الله" واحدٌ.[2]

وقد اعتاد النحويون أن يسموا بالاستثناء ما كان بلفظ حاشا وخلا وإلا وما لم يكن وما عدا وما سوى.

وهو في الأصل نوعان: استثناء وضعي، واستثناء عرفي، أما الوضعي فهو أن يكون بلفظ موضوع للاستثناء، وهو كلمة إلا" وما يجري مجراها نحو سوى، وغير، وأشباه ذلك.

وأما العرفي: فهو تعليق بمشيئة الله تعالى، وإنه ليس باستثناء في الوضع لانعدام كلمة الاستثناء بل الموجود كلمة الشرط إلا أنهم تعارفوا

---

١ - القلم ١٨

٢ - يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر بن محمد الزمخشري جـ ٤ ص ٥٧٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت، روح المعاني للألوسي مجلد ١٦ جـ ٢٩ ص ٥٠

إطلاق اسم الاستثناء على هذا النوع قال الله –تعالى–﴿ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[١]

أي: لا يقولون: إن شاء الله تعالى، وبينه وبين الأول مناسبة في معنى ظاهر لفظ الاستثناء، وهو المنع، والصرف دون الحقيقة فأطلق اسم الاستثناء عليه.[٢]

وهو يُذْكَرَ عَلَى سَبِيلِ الْأَدَبِ فِي تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَامْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣].[٤]

وذُكر في معنى الاستثناء هنا ثلاثة أوجه **منها:** أنهم لم يستثنوا حصة المساكين كما كان يفعل أبوهم، **الثاني:** استثناؤهم قول سبحان ربنا، **الثالث:** قول "إن شاء اللَّه" [٥] وذكر الطبري – رحمه الله – أن المراد بالاستثناء قول "إن شاء الله"[٦]

والأرجح أن الاستثناء المنفي عنهم هنا هو قولهم " إن شاء الله"، ذلك أن سياق الآيات مما سبق يبين أنهم ما أقسموا على الصَّرْم بهذه الكيفية إلا

---

١ – القلم ١٧ – ١٨

٢ – يُنظر: الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن أحمد ابن حزم الظاهري الباب الخامس عشر في الاستثناء جـ ٤ ص ١٠ ط دار الآفاق الجديدة – بيروت، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي جـ ٤ ص ٣٣١ ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٣ – الكهف ٢٣ – ٢٤

٤ – إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لتقي الدين ابن دقيق العيد باب حد السرقة، كتاب الأيمان والنذور جـ ٢ ص ٢٧٦ ط مكتبة السنة المحمدية.

٥ – يُنظر: النكت والعيون للماوردي جـ ٦ ص ٦٧ ط دار الكتب العلمية – بيروت، روح المعاني للألوسي مجلد ١٦ جـ ٢٩ ص ٥١

٦ – جامع البيان للطبري جـ ١٤ ص ٤٣

لعزمهم على منع حق المساكين، فاستثناءُ نصيب المساكين مفهومٌ من قَسَمهم هذا السابق ذكره، فيكون القول بأن الاستثناء هنا هو عدم قولهم "إن شاء الله" أبلغ في تسفيه عقلهم وتقبيح فعلهم بجعل جناياتهم متعددة وليست واحدة فقط، ويكون تركهم للاستثناء هنا بهذا المعنى مشيراً إلى كمال غفلتهم وسوء أدبهم مع الله ﷻ.

وقد جاء في القرآن الكريم ما يبين وجوب مراعاة هذا الأدب مع الله – ﷻ – كما ثبت في السنة النبوية ما يبين عواقب عدم مراعاته مع الله ﷻ .

ففي القرآن نقرأ قول الله –ﷻ– ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[1]

فقد نهى الله –ﷻ – نبيه محمداً – ﷺ – في هذه الآية أن يقول في أمرٍ من الأمور إني أفعل غداً كذا وكذا، إلا أن يعلِّق ذلك بمشيئة الله – ﷻ– حتى لا يكون محققاً لحكم الخبر، فإنه إذا قال: لأفعلن ذلك ولم يفعل: كان كاذباً، وإذا قال لأفعلن ذلك– إن شاء الله– خرج عن أن يكون محققاً للمخبر عنه.[2]

كما جاء في السنة النبوية قصة سليمان – عليه السلام– عندما عزم على الطواف على نسائه ولم يستثن، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّ تَلِدُ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ، قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي الْمَلَكَ قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَنَسِيَ، فَطَافَ بِهِنَّ فَلَمْ تَأْتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ بِوَلَدٍ إِلَّا وَاحِدَةٌ بِشِقِّ غُلَامٍ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ

١ – الكهف ٢٣ – ٢٤

٢ – الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي جـ ١٠ص ٣٩٤

يَرْوِيهِ قَالَ: لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا فِي حَاجَتِهِ». وَقَالَ مَرَّةً: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – لَوِ اسْتَثْنَى [1]

وفي هذه الآية الكريمة – محل البحث – يذكر الله –ﷻ – أنه مع سوء فعل أصحاب هذه الجنة بحرمان المساكين من ثمار هذه الجنة، ضموا إلى ذلك سوءَ أدبٍ مع الله –ﷻ – في ترك الاستثناء، فاستحقوا ما حاق بهم من خسرانها وفوات الانتفاع بها.

١ – يُنظر: صحيح البخاري كتاب: كفارات الأيمان، باب: الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْأَيْمَانِ جـ ٤ ص ٢٣٣ حديث رقم ٦٧٢٠

**المطلب الثالث:**

**المقصد القرآني الثالث: الترهيب من عقاب الله -ﷻ- لمن تجرأ على معصيته.**

بعد أن ذكر ربُّ العزة - ﷻ - سوءَ أدب أصحاب الجنة فيما عزموا عليه وما وقعوا فيه من الغفلة عن تذكُّر الله -ﷻ- بعدم قولهم "إن شاء الله" ذكر اللهُ - ﷻ- ما حاق بجنتهم جزاءً وفاقاً فقال الله - ﷻ - ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾[1]

أي: طرق جنةَ هؤلاء القوم ليلاً طارقٌ من أمر الله -ﷻ- وهم نائمون، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلاً ولا يكون نهاراً، قيل أنزل الله تعالى عليها ناراً فأحرقتها.[2]

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة تهويل ما حاق ببستانهم بأمور:

**منها:** التعبير عما حاق بجنتهم من عقابٍ بلفظ الطائف، وهذا التعبير فيه من التهويل ما فيه، ذلك أن نزول هذا العقاب بهذا الوصف يفيد أنه أحاط بها من كل جهة وطاف بكل جوانبها فلم يبق من البستان شيءٌ.

**ومنها:** مجيء لفظ " طَآئِفٌ" بالتنكير لزيادة التخويف من حقيقته فلا يدري صفته إلا الله ﷻ، وإن كان ناراً كما قيل فهي نارٌ عظيمة ليست كغيرها من نيران الدنيا.

**ومنها:** التعبير بقوله "فَطَافَ عَلَيْهَا " ولم يقل "بها" زيادة تهويل لهذا العذاب وأنه طاف عليها، فوصفه بالطائف يفيد إحاطته بها من كل جانب، ووصف طوفانه بجهة العلو زيادة ترهيب يفيد أن هذا الطائف كأنه وقع عليها من علوٍ فأتى عليها كلها من كل جانب وجهة.

---

١ - القلم ١٩

٢ - يُنظر: جامع البيان للطبري جـ ١٤ ص ٣٧، معاني القرآن للفراء جـ ٣ ص ١٧٥ ط دار السرور.

ثم إنَّ التعبير بقوله " مِّن رَّبِّكَ " فيه لطيفتان:

**أولهما:** التصريح بكونه من الله -ﷻ- بيان أنه بلاء من الله -ﷻ- فلا قِبَل لأحد من الخلق بدفعه.

**ثانيهما:** التعبير بقوله " مِّن رَّبِّكَ " تسليةٌ لرسول الله - ﷺ - وكأن الله -ﷻ- يقول له: ربُّك هو الذي عاقب هؤلاء الذين جحدوا نعمة الله عليهم، وهو القادر على أن يعاقب أهل مكة كما عاقبهم.

وكان من بيان القرآن لكمال غفلتهم عن سوء جُرْمهم أن قال الله - ﷻ - (وَهُمْ نَآئِمُونَ) أي حال نومهم، ذلك أن النوم يكون حال الأمن، فالتصريح بأن هذا العذاب قد طاف بجنتهم حال نومهم فيه إشارة إلى أنه لم ينلهم أي ندمٍ أو تفكُّر في قبح هذا الأمر، فناموا وزين لهم الشيطان أن يأمنوا عقوبة الله - ﷻ - لهم.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [١]

أي صارت جنَّتُهم كاللّيل المظلم، لأنّ اللّيل يقال له: الصَّرِيمُ، أي: صارت سوداء كاللّيل لاحتراقها.[٢]

١ - القلم ٢٠

٢ - معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة "صرم" ص ٢٨٨ ط دار الفكر - بيروت.

**المطلب الرابع:**

**المقصد الرابع: هل تكون العقوبة على الذنب بمجرد الهمَّ به أم بارتكابه؟**

عندما ذكر الله –ﷻ– جناية أصحاب الجنة قال ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾[1]

فهذه الآيات الكريمة تبين أن الله –ﷻ– قد عاقب أصحاب هذه الجنة قبل أن ينفذوا ما اتفقوا عليه، وهنا يَرِدُ تساؤلٌ وهو: هل يكون العقاب على الهمِّ والعزم قبل ارتكاب المعصية؟

فقد جاء في الحديث الصحيح عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللّهِ – ﷺ – فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبّهِ – ﷻ– قَالَ: "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً.[2]

فهذا الحديث يفيد أنه لا عقاب على من همَّ بالسيئة إلا إذا فعلها، والسورة الكريمة تبين أن الله –ﷻ– قد عاقب أهل هذه الجنة بعزمهم على حرمان المساكين من الصدقة، فما التوفيق؟

وللجواب عن ذلك نقول:

**أولاً:** أن يكون هذا في الأمم السابقة، كما اختُص بنو إسرائيل بأشياء وعُفي فيها عن أمة النبي ﷺ.

---

١ – سورة القلم من الآية ١٧ حتى الآية ٢٠

٢ – رواه البخاري في صحيحه كتاب: الرقاق، باب: مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ جـ ٤ ص ١٨٩ حديث رقم ٦٤٩١ ط المكتبة السلفية

**ثانياً:** أن الله – ﷻ – عاقبهم لا لمجرد همِّهم ولكن لعزمهم على إمضاء ما همُّوا به دون تردد، ولأنهم فعلوا كل ما يوصلهم لمقصودهم من التخفي والتنادي والتواصي فيما بينهم، فكأنهم بذلك قد خرجوا من مرحلة الهمِّ إلى مرحلة الفعل.

قال القرطبي – رحمه الله –: في هذه الآية دليلٌ على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا على أن يفعلوا، فعوقبوا قبل فعلهم، ومثله قوله– تعالى– ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [١] وفي الحديث الصحيح «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[٢].[٣]

**ثالثاً:** أن العفو عن حديث النفس بشرط عدم العزم وعدم التحدث به أيضاً، أما مَنْ عزم وحاول وعجز عن المعصية رغماً عنه فهذا مؤاخذ بما فكر فيه، لذا قال الله –ﷻ – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فذكر الله – ﷻ – عقابهم على مجرد حبهم.

وأصحاب الجنة قد همُّوا وتشاوروا وتنادوا مصبحين، فخرج الأمر عن كونه همَّاً إلى كونه أمراً مصرحاً به فيما بينهم.

وقد ذكر الفخر الرازي – رحمه الله – عند تفسيره لقول الله –ﷻ – ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ

---

١ – الحج ٢٥

٢ – رواه البخاري في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: بَابٌ: " وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا" فَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ" جـ ١ ص ٢٧ حديث رقم ٣١ ط المكتبة السلفية.

٣ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٨ ص٢٣١ ط دار الحديث.

يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [1] وجوهاً لبيان ذلك **منها**: أن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين: **فمنها** ما يوطِّن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إدخاله في الوجود، **ومنها** ما لا يكون كذلك، بل تكون أموراً خاطرة بالبال مع أن الإنسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس.

فالقسم الأول يكون مؤاخذاً به، والثاني لا يكون مؤاخذاً به، ألا ترى إلى قوله- تعالى- ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ [2]

**ومنها**: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَهُ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فَيَكُونُ الْغُفْرَانُ نَصِيبًا لِمَنْ كَانَ كَارِهًا لِوُرُودِ تِلْكَ الْخَوَاطِرِ، وَالْعَذَابُ يَكُونُ نَصِيبًا لِمَنْ يَكُونُ مُصِرًّا عَلَى تِلْكَ الْخَوَاطِرِ مُسْتَحْسِنًا لَهَا.[3]

يقول الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي – رحمه الله – " بيَّن المحققون من العلماء أن هذه المحاسبة إنما تكون على ما يعزم عليه الإنسان وينويه ويصرُّ على فعله، سواء أنفذ ما اعتزم عليه أم حالت دونه حوائل خارجة عن إرادته، كمن عزم على السرقة واتخذ الوسائل لذلك، ولكن لم يستطع التنفيذ لأسباب لم يتمكن معها من السرقة التي أصرَّ عليها.

أما الخواطر النفسية التي تجول في النفس، وتعرض للإنسان دون أن يعزم على تنفيذها، فإنها ليست موضع مؤاخذة، بل إن التغلب عليها، وكفِّها بعد مكافحتها يجعله أهلاً للثواب.[4]

---

١ – سورة البقرة الآية ٢٨٤

٢ – سورة البقرة الآية ٢٢٥

٣ – يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي جـ ٤ ص ٣٠

٤ – التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي جـ ١ ص ٨٥٧ ط دار الرسالة

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي – ﷺ – قال "إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ – أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا – مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ"(١)

فقد أخبر أن الله – ﷻ – عفا عن حديث النفس إلا أن يُتكلم به، ففرَّق بين حديث النفس وبين التلفظ به، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يُتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء(٢)

وقد سجل عليهم القرآن بعض أفعالهم التي تدل على كمال عزمهم وإصرارهم على إمضاء ما نووه، وبالتالي فلم يكن الأمر بالنسبة لهم مجرد همٍّ، بل كان همّاً اقترن بالعزم والعمل بكل الأسباب الموصلة لهم لما أرادوه، ومنها:

**أولاً: نداء بعضهم لبعض وقت الصباح:** فقال الله –ﷻ–﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾ (٣)

والنِّدَاءُ: رفْعُ الصَّوت وظُهُورُهُ، وتنادوا: أي نادى بعضُهم بعضاً.(٤)

أي: نادى بعضهم بعضاً عند الصباح، فلم يكن النداء من أحدهم للآخرين، وإنما كل واحدٍ منهم نادي على الباقين، مما يبين اتفاق الجميع على الأمر.

فالتعبير بالتنادي فيه إشارة إلى عزمهم وإصرارهم وعدم ترددهم.

---

١ – رواه البخاري في كتاب: الأيمان، بَابٌ: إِذَا حَنِثَ نَاسِيًا فِي الْأَيْمَانِ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى "وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ" وَقَالَ "لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ" جـ٤ ص٢٢٢ حديث رقم ٦٦٦٤

٢ – العقيدة الطحاوية لأحمد بن محمد الطحاوي مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ص ١٨٥ ط المكتب الإسلامي

٣ – القلم ٢١

٤ – المفردات للراغب مادة "ندا" ص ٥٠٧ ط دار الفكر بيروت – لسان العرب مادة "ندى" جـ١٥ ص ٣١٦ ط دار الفكر بيروت

**ثانياً: ذِكْرهم للأمر صراحة وقت الصبح بعد التواصي به ليلاً** ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [1]

وهذا مما يبين مدى إصرارهم وعدم تراجعهم وأن الأمر قد تخطى مرحلة الهمِّ إلى مرحلة الإصرار والعزم المؤكد.

وقوله ﴿أَنِ ٱغْدُواْ﴾

الغُدُوِّ: هُوَ سَيْرُ أَولِ النهارِ نقيضُ الرَّواحِ، والغَادِيَة: السَّحابَة الَّتِي تَنْشَأُ غُدْوة.[2]

فالمعنى: أنهم نادوا على بعضهم حتى يخرجوا أول النهار قبل ضوء الصباح حتى لا ينتبه لهم المساكين، وهذا مما يبين شدة إصرارهم على ما تواصوا به من حرمانهم.

و " أَنِ" حرف تفسير [3] فإنها فسرت ما تنادوا به وهو الغُدُو على الحرث.

﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ الحَرْثُ والحِراثَةُ: العَمل فِي الأَرض زَرْعاً كَانَ أَو غَرْساً، وقد يكون الحَرْثُ نفسَ الزَّرْع [4]

ولم يقل إلى حرثكم لأن الغدوّ إليه ليصرموه كان غدوّاً عليه، أو ضمن الغدوّ معنى الإقبال أي فأقبِلوا على حرثكم باكرين.[5]

---

١ – القلم ٢٢

٢ – لسان العرب لابن منظور مادة "غدا" جـ ١٥ ص ١١٨

٣ – الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي جـ١٥ ص٤١ ط دار الرشيد–دمشق

٤ – لسان العرب مادة "حرث" جـ ٢ص ١٣٤

٥ – مدارك التنزيل للنسفي جـ ٣ ص ٥٢٢ ط دار الكلم الطيب – بيروت.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ﴾ قيل معناه إن كنتم مريدين صِرامه، مأخوذ من صِرام النخل، ويحتمل أن يريد إن كنتم أهل عزم وإقدام على آرائكم من قولك سيف صارم.[١]

**ثالثاً: استجابتهم لما تنادوا به:** ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ﴾ [٢]

﴿فَٱنطَلَقُواْ﴾ أي ذهبوا، وفي التعبير عن ذهابهم بلفظ الانطلاق إشارة إلى شدة مسارعتهم لإتمام ما عقدوا العزم عليه ﴿وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُـونَ﴾ يتسارّون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين.

والمخافتة والخفت: إسرار المنطق، والخُفوتُ: ضَعْفُ الصَّوْت مِنْ شِدَّة الْجُوعِ؛ يُقَالُ: صَوْتٌ خَفيضٌ خَفيتٌ، وخَفَتَ الصوتُ خُفُوتاً: سَكَنَ؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِلْمَيِّتِ: خَفَتَ إِذا انْقَطَعَ كلامُه وَسَكَتَ، فَهُوَ خافِتٌ، والمُخافَتَةُ: إِخْفاءُ الصَّوْتِ، وخافَتَ بِصَوْتِهِ: خَفَّضَه[٣]

فتخافتهم أنهم أسرُّوا الكلام بينهم بأن ﴿لَّا يَـدْخُلَنَّهَا ٱلْيَـوْمَ عَلَـيْكُم مِّسْكِينٌ﴾[٤]

فالمعنى أنهم تكلموا بصوت خفيض حتى لا يسمعهم أحد، وهذا من شدة إصرارهم وعزمهم.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾[٥]

---

١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي جـ٨ ص ٣٧٣ ط وزارة الأوقاف – قطر.

٢ – القلم ٢٣

٣ – أساس البلاغة للزمخشري مادة "خفت" ص١٦٩، لسان العرب مادة "خفت" جـ ٢ ص ٣٠، المفردات للراغب مادة "خفي" ص ١٥٣

٤ – معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج جـ ٥ ص ٢٠٨ ط عالم الكتب – بيروت

٥ – القلم ٢٤

﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ﴾أي الجنة، وأن مفسرة للتخافت ﴿ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾

والنهي عن دخول المساكين حسب سياق قصتهم يشمل جميع أيام العام، فإنهم كانوا يريدون منع المساكين من رؤية جنتهم وما فيها من ثمار، لكنهم هنا ذكروا لفظ " ٱلۡيَوۡمَ " الذي هو يوم الحصاد، لأن غرضهم الأساسي هو منع المساكين من أخذ شيء من المحصول يوم حصاده فهذا هو أهم أيام منعهم.

﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴾ قيل: على منع خيرها عن المساكين، وقيل: على غَضبٍ.[1]

والحَرْدُ في اللغة: القَصْدُ، والمنْعُ، والغَيْظُ، والغَضَبُ، يقال: حَرَّد الشيءَ: مَنَعَهُ، وحَرِدَ الرجلُ فَهُوَ حَرِد إذا اغْتَاظ فَتَحَرَّشَ بالَّذِي غاظه وهَمّ بِهِ فَهُوَ حارِدٌ [2]

وكل هذه المعاني داخلة في وصف حالهم: فقد كان الحامل لهم على فعلهم هذا غضبهم مما كان يفعله أبوهم من إعطاء المساكين من حصاد هذه الجنة فخرجوا قاصدين إمضاء ما عزموا عليه من منع المساكين.

١ – معاني القرآن للزجاج جـ٥ ص ٢٠٧، العمدة في غريب القرآن لليزيدي ص ٣١٠ ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢ – تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري باب: الحاء والدال مع الراء جـ ٤ ص ٤١٣ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة، لسان العرب مادة "حرد" جـ ٣ ص ١٤٥

**المطلب الخامس:**

**المقصد الخامس: ما يكون من الندم بعد العقوبة، والترغيب في التوبة.**

بعد أن ذكر الله -ﷻ- عقابه لأصحاب الجنة ذكر حالهم لمَّا رأوا جنتهم محترقة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ (١)

(فَلَمَّا رَأَوْهَا) أي رأوا جنتهم محترقة فلم يعرفوها باديء الأمر، حينها (قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ) أي ضللنا الطريق فهي ليست جنتنا لما رأوا من هلاكها.

وهذا من شدة استغرابهم لما رأوا من حالها، فهم سلكوا نفس الطريق الذي تعودوا أن يجدوا في آخره جنتهم، لكنهم لما رأوا في نهاية الطريق آثار جنةٍ محترقة لم يتخيلوا في البداية أنها هي، فلما تأملوا وتيقنوا أنها هي علموا أن هذا عقابٌ من الله -ﷻ- لهم، حينها تراجعوا عن ظنِّهم الأول بأنهم ضلوا الطريق واعترفوا بما أوقعوا أنسهم فيه فقالوا ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ (٢) أي محرومون من خيرها بسبب ما أقسمنا عليه من حرمان المساكين.

﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أي أحسنهم وأرجحهم عقلاً ورأياً، أو أوسطهم سناً.

وكون " أَوۡسَطُهُمۡ " بمعنى أرجحهم عقلاً هو الأقرب، ذلك أن ذكره هنا كان لكونه هو الناصح لهم دون سواه، فالوصف بأنه أوسطهم يجعل الوصف للعقل أقرب من كونه للعُمُر، وقد جاء استعمال هذا الوصف في القرآن إشارة لرجاحة العقل والتوسط في الأمور كما قال الله -ﷻ- وصفاً للمؤمنين ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ (٣)

فلفظ الوسط هنا كناية عن الأفضلية والخيرية والعدل.

---

١ - القلم ٢٦

٢ - القلم ٢٧

٣ - البقرة ١٤٣

وبأن أوسطهم بمعنى أعدلهم قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وقَتَادَةُ والطبري وابن كثير.[١]

(أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) أي هلا تستثنون، فمعنى التسبيح ههنا الاستثناء، وهو قول " إن شاء الله"[٢]

والعلاقة بين التسبيح والاستثناء الذي هو قولهم " إن شاء الله" أن التسبيح تنزيه لله -ﷻ- وتعظيم له، والاستثناء بقول " إن شاء الله" اعتراف بأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بإرادة الله -ﷻ- وتقديره، فكلاهما يجتمعان على معنى التعظيم لله رب العالمين.

وكونه يقول لهم هذا الكلام بأسلوب الاستفهام التقريري ولا يكذبونه فيما قال يشير إلى كونه قد نصحهم في البداية لكنهم لم يطيعوه.

ثم إن أوسطهم لما عاتبهم وتيقنوا من عقوبة الله لهم اعترفوا بسوء أدبهم وعاقبته عليهم فقالوا ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ [٣] فأقرُّوا على أنفسهم بظلم المساكين في منع المعروف عنهم، وبظلم أنفسهم بترك الاستثناء، ونزهوا الله -ﷻ- عن أن يكون ظالماً لهم.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [٤]

اللَّوْمُ: عذل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم، لَامَه عَلَى كَذَا يَلُومُه لَوْماً ومَلاماً وَمَلَامَةً ولَوْمةً، فَهُوَ مَلُوم ومَلِيمٌ: استحقَّ اللَّوْمَ واللَّائِمَةُ: الأمر الذي يُلَامُ عليه الإنسان، ومنه ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [٥] و ﴿قَالَتْ

١ – جامع البيان للطبري ١٤ ص ٤٢، تفسير ابن كثير جـ ٨ ص ١٢٦

٢ – معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج جـ ٥ ص ٢٠٩

٣ – القلم ٢٩

٤ – القلم ٣٠

٥ – إبراهيم ٢٢

فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [١] و ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [٢] قيل: هي النّفس التي اكتسبت بعض الفضيلة، فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروهاً.[٣]

فالمعنى: أي يلوم بعضُهم بعضاً بما عزموا عليه من حرمان المساكين ويحيل كلٌّ واحدٍ منهم العيبَ على الآخر، ثم اعترفوا بأنهم تجاوزا الحدَّ ﴿قَالُواْ يَوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [٤] أي مجاوزين للحد في ظلم أنفسنا وظلم الفقراء.

ثم طمعوا في مغفرة ذنبهم وأن يعوضهم الله – ﷻ – بعد قبول توبتهم ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [٥] قِيلَ: رَغِبُوا فِي بَذْلِهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَقِيلَ: احْتَسَبُوا ثَوَابَهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [٦]

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٧] أي مثل مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ) أعظم منه (لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) لَمَا فعلوا ما يفضي إلى هذا العذاب.

وهذا عَوْدٌ إلى تخويف مشركي مكة الذين بدأت القصة بتخويفهم، وذلك هو مغزى ذِكْر هذه القصة.

---

١ – يوسف ٣٢

٢ – القيامة ٢

٣ – يُنظر: مادة "لوم" في: المفردات ٤٧٦ ط دار الفكر، لسان العرب جـ ١٢ ص ٥٥٨ ط دار الفكر

٤ – القلم ٣١

٥ – القلم ٣٢

٦ – تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ ٨ ص ١٢٦ ط دار الحديث

٧ – القلم ٣٣

فمن أغراض هذه القصة أن الله – ﷻ – قَالَ في بداية السورة ذمّاً للكافر الحلاَّف المهين ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[1] وَالْمَعْنَى: لِأَجْلِ أَنْ أَعْطَاهُ الْمَالَ وَالْبَنِينَ كَفَرَ بِاللَّهِ! والله –ﷻ – إنما أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِلِابْتِلَاءِ، فلما صَرَفَهُ إِلَى الْكُفْرِ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِدَلِيلِ أَنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ لَمَّا أَتَوْا بِهَذَا الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَى جَنَّتِهِمْ فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ فِي حَقِّ مَنْ عَانَدَ الرَّسُولَ – ﷺ – وَأَصَرَّ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ.

كذلك فإنَّ أَصْحَابَ هذه الْجَنَّةِ خَرَجُوا لِيَنْتَفِعُوا بِالْجَنَّةِ وَيَمْنَعُوا الْفُقَرَاءَ عَنْهَا فَقَلَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَضِيَّةَ، فَكَذَا أَهْلُ مَكَّةَ لَمَّا خَرَجُوا إِلَى بدر حَلَفُوا عَلَى أَنْ يَقْتُلُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، وَإِذَا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ طَافُوا بِالْكَعْبَةِ وَشَرِبُوا الْخُمُورَ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ ظَنَّهُمْ فَقُتِلُوا وَأُسِرُوا كَأَهْلِ هَذِهِ الْجَنَّةِ. [2]

١ – القلم ١٤ – ١٥

٢ – يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي جـ ١٥ ص ٦٦٦

## الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتمُّ الصالحات وتُقْبَلُ الطاعات وتُغْفَرُ السيئات وأصلي وأسلم على خير الخلق ونبي الحق سيدنا محمدٍ – ﷺ – وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

**وبعد**

فإنني أرجو من الله – ﷻ– أن أكون قد وُفِقتُ في هذا العرض للمقاصد القرآنية في قصة أصحاب الجنة المذكورة في سورة القلم.

**وهذه أهم نتائج البحث:**

النتائج التي وفقني الله – ﷻ – للتوصل إليها وهي:

١. أن أهم جانب في القصة القرآنية هو جانب العبرة والعظة الذي لا يلتفت لما لا فائدة فيها من أحداث.

٢. أن قصص القرآن جاء في غالبه في القرآن المكي لِما لهذه الفترة من أهميةٍ لجانب التسلية للنبي – ﷺ – وللمؤمنين بسبب إيذاء المشركين لهم.

٣. أن ذِكْر قصص السابقين من المؤمنين الصابرين، وكذلك قصص المعاندين الذين حاق بهم سوء عملهم، كان تسلية للمؤمنين وتخويفاً للكافرين.

٤. أنَّ سورة القلم دفعت عن رسول الله – ﷺ – ما اتهمه به المشركون، وذكرت ما حاولوا أن يوقعوه فيه من مطاوعتهم في كفرهم وضلالهم.

٥. أن قصةَ أصحاب الجنة الذين تشابهت أفعال أهل مكة مع أفعالهم جاءت تحذيراً لهم وتخويفاً إن هم استمروا على كفرهم وتكذيبهم للنبي ﷺ .

**توصيات البحث:**

١. أهمية استخراج المقاصد القرآنية من القرآن عامةً ومن قصصه خاصةً، بما يفيد في علاج المشاكل الاجتماعية.

٢. الاهتمام بالتفسير الموضوعي لسور القرآن وموضوعاته بما يُظهر حيوية القرآن الكريم وعلاجه لقضايا العصر المختلفة.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

**وصلى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم**

## قائمة المصادر والمراجع

**القرآن الكريم جلَّ مَنْ أنزله**


١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لتقي الدين ابن دقيق العيد ط مكتبة السنة المحمدية.
٢. الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن أحمد ابن حزم الظاهري ط دار الآفاق الجديدة – بيروت.
٣. أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي ط دار إحياء التراث العربي.
٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ط دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الطبعة الثانية ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ
٦. البرهان في علوم القرآن للإمام لمحمد بن عبد الله الزركشي تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ط مكتبة دار التراث.
٧. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ط مكتبة الصفا طبعة أولى ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م
٨. التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ط دار الرسالة
٩. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ط الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جعفر بن جرير الطبري ضبط وتوثيق وتخريج / صدقي جميل العطار ط دار الفكر – بيروت ط ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م

١١. الجامع المسند الصحيح من حديث رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري ط المكتبة السلفية.
١٢. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ط دار الحديث طبعة ثانية ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م
١٣. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه تصنيف / محمود صافي ط دار الرشيد – دمشق– بيروت ط رابعة ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م
١٤. الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ط دار الفكر – بيروت طبعة ١٤٣٢ هـ ٢٠١١م
١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ط دار الفكر – بيروت، قرأه وصححه / محمد حسين العرب طبعة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م
١٦. العقيدة الطحاوية لأحمد بن محمد الطحاوي مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ط المكتب الإسلامي.
١٧. العمدة في غريب القرآن لليزيدي ط مؤسسة الرسالة – بيروت
١٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني حققه / محب الدين الخطيب – رقَّمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه / محمد فؤاد عبد الباقي ط المكتبة السلفية ط ثالثة ١٤٠٧ هـ
١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ط دار الكتب العلمية – بيروت طبعة أولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م
٢٠. لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي ط دار الفكر – بيروت طبعة ثالثة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م
٢١. مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم طبعة مطبعة المعارف طبعة أولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٢٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق ابن عطية الأندلسي طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –قطر–طبعة ثانية١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م
٢٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي طبعة دار الكلم الطيب – بيروت طبعة أولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
٢٤. معاني القرآن لأبي زكريا يحى بن زياد الفراء ط دار السرور.
٢٥. معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ط عالم الكتب – بيروت ط أولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
٢٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقيق / نديم مرعشلي ط دار الفكر – بيروت ٠
٢٧. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ط دار الفكر – تحقيق عبد السلام محمد هارون.
٢٨. مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر الرازي ط دار الغد العربي.
٢٩. مقاصد القرآن من تشريع الأحكام للدكتور عبد الكريم حامدي ط دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع –الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ–٢٠٠٨م
٣٠. المقاصد القرآنية – دراسة منهجية للدكتور محمد عبد الله الربيعة
٣١. الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي٧٩٠هـ ط دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة أولى١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م
٣٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ط دار الكتاب الإسلامي – القاهرة
٣٣. النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ط دار الكتب العلمية – بيروت.

**References :**

**alquran alkarim jll man 'anzalah**

1. 'iihkam al'ahkam sharh eumdat al'ahkam litaqi aldiyn aibn daqiq aleid t maktabat alsanat almuhamadiati.
2. al'iihkam fi 'usul al'ahkam lieali bin 'ahmad aibn hazm alzaahiri t dar alafaq aljadidat - bayrut.
3. 'asas albalaghat lijar allah 'abi alqasim mahmud bin eumar alzumakhashirii t dar alfikr liltibaeat walnashri1415 ha- 1994m
4. 'anwar altanzil wa'asrar altaawil lieabd allah bin eumar albaydawi t dar 'iihya' alturath alearabii.
5. badayie alsanayie fi tartib alsharayie li'abi bakr bin maseud alkasani alhanafii t dar alkutub aleilmiat - bayrut, tahqiq wataeliq alshaykh eali muhamad mueawad alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud altabeat althaaniat 2003m-1424h
6. alburhan fi eulum alquran lil'iimam limuhamad bin eabd allah alzarkashi tahqiq / muhamad 'abu alfadl 'iibrahim t maktabat dar altarathi.
7. tafsir alquran aleazim li'abi alfida' 'iismaeil bin kathir t maktabat alsafa tabeatan 'uwlaa 1425 h 2004 m
8. altafsir alwasit lil'iimam al'akbar muhamad sayid tantawi t dar alrisala
9. tahadhib allughat li'abi mansur muhamad bin 'ahmad al'azharii t aldaar almisriat liltaalif waltarjamati.
10. jamie albayan ean tawil ay alquran lil'iimam muhamad bin jaefar bin jarir altabarii dabt watawthiq watakhrij / sidqi jamil aleataar t dar alfikr - bayrut t 1415 ha 1995 m
11. aljamie almusnad alsahih min hadith rasul allah - ρ - wasunanih wa'ayaamuh lilhafiz muhamad bn 'iismaeil albukharii t almaktabat alsalafiati.
12. aljamie li'ahkam alquran li'abi eabd allah muhamad bin 'ahmad alqurtubii t dar alhadith tabeatan thaniatan 1416 h 1996 m

13. aljadwal fi 'iierab alquran wasarfih wabayanih tasnif / mahmud safi t dar alrashid - dimashqa- bayrut t rabieat 1418 ha 1998 m
14. aldir almanthur lijalal aldiyn alsuyutii t dar alfikr - bayrut tabeatan 1432 ha 2011m
15. ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani li'abi alfadl shihab aldiyn mahmud al'alusi t dar alfikr - bayrut, qara'ah wasahahah / muhamad husayn alearab tabeatan 1417 hi 1997m
16. aleaqidat altuhawiat li'ahmad bin muhamad altahawi mae sharhiha liaibn 'abi aleizi alhanafii t almaktab al'iislamii.
17. aleumdat fi ghurayb alquran lilizidi t muasasat alrisalat - bayrut
18. fath albari bisharh sahih albukharii lilhafiz 'ahmad bin ealiin bin hajar aleasqalanii haqaqah / muhibu aldiyn alkhatib - rqqam kutubih wa'abwabih wa'ahadithih / muhamad fuad eabd albaqi t almaktabat alsalafiat t thalithatan 1407 hu
19. alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil lil'iimam 'abi alqasim jar allah mahmud bin eumar bin muhamad alzumakhshiri t dar alkutub aleilmiat - bayrut tabeatan 'uwlaa 1415 hi - 1995 m
20. lsan alearab li'abi alfadl jamal aldiyn muhamad bin manzur al'iifriqiu t dar alfikr - bayrut tabeatan thalithat 1414 ha 1994 m
21. mabahith fi altafsir almawdueii lil'ustadh alduktur mustafaa muslim tabeatan matbaeat almaearif tabeat 'uwlaa 1430 h - 2009 m
22. almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziz lieabd alhaq aibn eatiat al'andalusi tabeat wizarat al'awqaf walshuyuwn al'iislamiat - qatar - tabeat thaniat 1428 h - 2007 m

23. mdarik altanzil wahaqayiq altaawil li'abi albarakat eabd allah bin 'ahmad alnusfi tabeat dar alkalm altayib - bayrut tabeatan 'uwlaa 1419 hi - 1998 m
24. maeani alquran li'abi zakariaa yahaa bin ziad alfara' t dar alsurur.
25. maeani alquran wa'iierabuh li'abi 'iishaq 'iibrahim bin alssry alzujaj sharh watahqiq du/ eabd aljalil eabduh shalabi t ealam alkutub - bayrut t 'uwlaa 1408h 1988m
26. maejam mufradat 'alfaz alquran lilhusayn bin muhamad alraaghib al'asfahani tahqiq / nadim maraeashliun t dar alfikr - bayrut 0
27. muejam maqayis allughat li'abi alhusayn 'ahmad bin faris bin zakariaa t dar alfikr - tahqiq eabd alsalam muhamad harun.
28. mafatih alghayb limuhamad bin eumar alraazi t dar alghad alearabii.
29. maqasid alquran min tashrie al'ahkam lilduktur eabd alkarim hamidi t dar aibn hazam liltibaeat walnashr waltawzie -altabeat al'uwlaa 1428h-2008m
30. almaqasid alquraniat - dirasat manhajiat lilduktur muhamad eabd allah alrabiea
31. almuafaqat fi 'usul alsharieat li'abi 'iishaq 'iibrahim bin musaa algharnatii alshaatibii 790h t dar alkutub aleilmiat - bayrut, tabeat 'uwlaa 1425 h - 2004 m
32. nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr li'abi alhasan 'iibrahim bin eumar albiqaeii t dar alkitaab al'iislamii - alqahira
33. alnukt waleuyun li'abi alhasan eali bin muhamad bin habib almawardii t dar alkutub aleilmiat - bayrut.